بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقق

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن أشرف العلوم هو العلم الذي يتعلق بكتاب الله عز وجل وهو علم (علوم القرآن) وذلك لأنه يبحث في القرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه....

ومنذ ما يزيد عن ألف وثلاثمئة عام تقريباً والعلماء يكتبون في هذا الفن، حتى جاء أحد علماء الأزهر الشريف الكبار وهو الشيخ محمد عبد العظيم الزّرقاني فألّف كتابه الذي أسماه (**مناهل العرفان في علوم القرآن**) وقد أتى فيه مؤلفه بالعجيب المبدع، وقد ألّفه كما يقول: «تحقيقاً لرغبة طلابه المتخصصين في الدعوة والإرشاد من كلية أصول الدين في الجامعة الأزهرية». وحفاظاً على هذا السفر النفيس رأيت أن أخصّه بالاعتناء الذي يستحقه فكان عملي في هذا الكتاب وفق المنهج الآتي:

١ ـ قابلت الكتاب على عدة نسخ مطبوعة فأثبت ما وجدته صواباً وحذفت ما وجدته مخالفاً للصواب من ناحية الشكل فقط. ووضعت علامات الترقيم.

٢ ـ خرّجت الآيات القرآنية الكريمة ووضعتها بين علامتَي تنصيص، هكذا: ﴿ ﴾.

٣ ـ خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة ما أمكن.

٤ ـ ترجمت للقراء والمفسرين الذين ذكرهم المؤلف في كتابه بإسهاب.

٥ ـ نسبت بعض الأبيات الشعرية إلى قائليها.

٦ ـ شرحت الألفاظ الغريبة والتي قد تستعصي على بعض القراء. والله أسأل أن يلهمنا الصواب في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

ملحوظة: لقد تركت التعليقات التي كتبها المؤلف في مكانها وأشرت إليها بحرف (م).

الزُّرقانـي

هو: محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر الشريف، تخرج في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، بالتخصص القديم، وعيّن أستاذاً بالكلية، درس فيها مادة علوم القرآن والتفسير، من مصنفاته: «مناهل العرفان في علوم القرآن» وبحث في الدعوة والإرشاد، توفي في سنة ١٩٤٨ م[١].

مناهـل العرفـان

كانت فكرة مناهل العرفان عبارة عن مذكرات يقوم الشيخ رحمه الله بتدريسها للطلبة في كلية أصول الدّين ثم خرج بعد ذلك مرجعاً عامًا للمسلمين.

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب سنة ١٣٥٨ هـ والطبعة الثانية صدرت سنة ١٣٦١ هـ، وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية برقم (١٠٤/٥٠٧٨٨) بأولها مقدمة وفهرس في ٢٣ ورقة.

أما الطبعة الثالثة فقد صدرت سنة ١٣٧٢ هـ.

المحقق

أحمد طعمه حلبي

(١) المكتبة الأزهرية (١/ ١٩٤)، (٧/ ٤٧٧)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٠).

مقدمة المؤلف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[(١)].

أما بعد، فها هي الطبعة الثالثة من كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» أُقدِّمها لقرائي الأكرمين بعد أن أعَدْتُ النظر فيه، رجاءَ أن أُدرك الكمال أو أُقارب، فزِدْتُ وحذفت، وقدَّمتُ وأخَّرتُ، وصححت واستدركت، ثم هيَّأ الله ـ تباركت آلاؤه ـ مطبعة عاونتني على حسن إخراجه فضبطته وشكلته، ونظَّمته وصقَلته. ولولا أزمة الورق الحادة للبس الكتاب حلَّةً أبهى من هذه الحلَّة. ولكن إذا سلم لك الجوهر واللباب، فلا عليك من القشر والإهاب.

خُذْ بِنَصْلِ السيفِ واتركْ غِمْدَهُ ‍ ‍ ‍ ‍ واعتبِرْ فضلَ الفتى دونَ الحُلَلْ

على أن الذنب في ذلك هو ذنب هذه الحرب الضَّروس الطاحنة، التي طغت وبغت، وطمَّتْ وعمَّتْ، حتى لم ينجُ من شرها شرق ولا غرب، ولا ضيِّق ولا رحب، بل قعدت للناس بكل صراط، وأثَّرت في جميع المرافق حتى أدوات الطبع (بالطبع).

لطف الله بالبلاد والعباد، وأخرج الإسلام من هذه المحنة قويَّ السِّناد، رفيع العماد، عالي الكلمة، مسموع الصوت، حتى يفيء الجميع إلى بُحبوحته، ويتفيؤوا وارِفَ ظلاله وسلامه، وأمنه وإيمانه، وعدله ورحمته، ويسره وسماحته، وحتى يعلموا أن نهضة العلم جناية على الإنسانية جائحة، إن لم تسايرها نهضة روحية صالحة، توفق بين مطالب الروح والجسد، وتؤاخي بين إنسان الشرق والغرب، وتستأصل النُّعَرَات الجنسية والطائفية، وتنظم من الكل جبهةً متحدةً على صراط الحق والخير، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[(٢)].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

وهل توجد هذه المزايا مجتمعةً إلا في الإسلام؟ وهل يوجد الإسلام بغير القرآن؟ وهل يفهم القرآن إلا «بعلوم القرآن»؟ وهو موضوع كتابنا الآن! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾[١].

محاولاتي

ولقد حاولت في هذا التأليف أموراً خمسة:

أولها: أن تكون كتابتي من النَّسَق الأزهري الجديد في تفكيره وفي تعبيره، بحيث يتيسر فهمه وهضمه للقراء من أبناء هذا الجيل، سواءٌ منهم المحقِّق الأزهريّ والمثقَّف المدني، فإن لكل زمان لغةً ولساناً، ومنطقاً وبرهاناً. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٢].

على أنني في هذه المحاولة لا أدَّعي أنني أنشأت وابتكرت، ولا أحدثت وابتدعت: بل قُصَارايَ أنني فهمت وأحسنت العرض إذا كنت قد وُفِّقْتُ. أما المادة نفسها فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة الذين أبْلَوْا في جمعها بلاءً حسناً، ولم يخرجوا من الدنيا إلا بعد أن شقُّوا لنا الطريق، وقرَّبوا البعيد، وجمعوا الشتيت، وتركوا من خلفهم ثروةً علمية هائلة، وكنوزاً ثقافية زاخرة، لا يوجد مثلها ولا قريب منها في أيَّة أمة من أمم الأرض إلى يوم الناس هذا! وأعتقد أننا لو أحسنَّا القيام على هذه التركة لكان لنا شأن غير هذا الشأن، ومكانة وسلطان لا يدانيهما مكانة ولا سلطان! ولكن ما قضى كان. ولعل المستقبل القريب يكون أسعد من هذا الحاضر الحزين الأسوان!

ثانيها: أن أعالج شبهات عصرنا الراهن علاجاً ينحي الأذى عن طريق عشاق الحق، وطلاب الحقيقة، وروّاد البحث، ومريدي الإسلام.

ولقد التزمت في علاج هذه الشبهات أدب الباحث وواجب المناظر. ورأيت لمثل هذا الاعتبار أن أرخي الستر على أسماء أصحاب هذه الشبه خصوصاً المعاصرين

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

منهم. وتعمدت هذه السياسة محاسنةً لهم عسى أن يرعوُوا، وحبًا في سلام البحث وهدوئه عسى أن يسلموا ويهدؤوا، وغضًا من شأنهم إن كان لهم شأن كيلا يقلدوا، فإننا أصحبنا في زمان افتتن كثير من الناس فيه بالأسماء والرتب، والأموال والنسب. وباتوا لا يعرفون الرجال بالحق إنما يعرفون الحق بالرجال، فالباطل إن صدر من فلان النابه فهو عندهم حقٌّ وزين، والحقُّ إن جاء به فلان الخامل فهو عندهم باطل وشين! وهكذا اختلت الضوابط وانقلبت الموازين!

ثالثها: أن أظهر عند كل مناسبة جلال التآخي بين الإسلام والعلم، لتنكشف تلك الدسيسة الرخيصة المفضوحة التي خيَّلت إلى المخدوعين أنَّ بين الدين والعلم خصومةً قائمة، وحرباً طاحنة، وعداوة متأصلة، كأن الدين رديف الجهل، وكأن العلم حليف الكفر! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾[1].

رابعها: أن أُجَلِّيَ أسرار التشريع وحكمه كلما دعاني المقام، ليعلم من لم يكن يعلم أن هذا الدين هو حاجة الإنسانية، ودواء البشرية، وكمال الفرد، وصلاح الجماعة، ولتنقطع أنفاس تلك الدعاية الضالة دعاية فصل الدين عن السياسة، والثقافة الدينية عن الثقافة المدنية، وقوانين العدل ودساتير الحكم عن مقرَّرات العقيدة وشعائر العبادة! وهي أخبث الدعوات وأفسقها فيما نعلم!

ولئن صحَّ أن يقال هذا في أديانٍ قاصرة عن الوفاء بحاجات الإنسانية في مناحي الإصلاح البشري، فما كان يصحُّ أن يقال هذا في دين الإسلام بحال من الأحوال، لأنه دين عقيدة وعمل، وعبادة وقيادة، وعلم وخلق، وحكم وعدل، ورحمة وحق، ومصحف، وسيف، ودنيا وآخرة!

ومن كان في ريب فليسأل التاريخ عن جليل الآثار التي تركها الحكم الإسلامي الصالح في أتباعه ومن انضوى تحت لوائهم من الأقليات الأجنبية، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم الطائفية.

بل ليَسألوا العالم وأحداثه، والدهر وتصاريفه: أيُّ الحكمين كان أنجح في تربية الأفراد، وأنجح في إصلاحات الجماعات، وأهدى سبيلاً في الاعتدال والاستدلال؟

(١) سورة الكهف، الآية: ٥.

أحكم السماء أم حكم الأرض؟ وقانون الخالق أم قوانين الخلق؟ وتشريع العليم الحكيم المنزه عن الغرض والهوى، أم تشاريع الإنسان القاصر النظر والاطلاع، المتأثر بطغيان الغرائز وجموح القوى؟ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ۝٤٩ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[(١)].

وإن لم يكفهم هذا فليسألوا المنصفين من مشاهير الغرب، كغوستاف لوبون الفرنسي، وبرناردشو الإنجليزي، وأمثالهما من الذين درسوا الإسلام وبحثوه، ثم حكموا له وأنصفوه، وأطروه وامتدحوه. «والفضل ما شهدت به الأعداء»!

ولنمسك القلم عن الجولان في هذا الميدان، فالكلمة هنا للتصدير والتنوير، لا للمقارنة والتنظير. وحسبنا أن نردِّد قول الشاعر العربي:

«ملكنَا فكـانَ العفـوُ منـا سجيـةً فلمَّـا ملكتـمْ سـال بـالـدمِ أبطَـحُ»
«فحسبكمـو هـذا التفـاوتُ بيننـا وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه ينضـحُ»

خامسها: أن أنفخ الروح من بوق هذا الكتاب في الكرام القارئين، لا سيما طلابي الأعزاء الذين هم على وشك النزول إلى ميادين الدعوة والإرشاد، فأوقظ همماً أخاف أن تكون قد نامت، وأحيي عزائم معاذ الله أن تكون قد ماتت. والروح هي كل شيء! هي القوة الدافعة، وهي الحياة الرائعة! والروح الصحيحة لا توجد إلا في القرآن، بل الروح الصحيحة هي القرآن! ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[(٢)]!

إن الإسلام لا يريد من المسلم ولا يرضى له أن يكون هيكلاً جامداً، ولا أن يكون تمثالاً هامداً، فإن الإسلام عدوُّ الهياكل والجمود، خصيم التماثيل والهمود.

إنما يريد الإسلام أن يكون المسلم روحاً يبعث الروح، وحياةً يملأُ الدنيا حياة، ورسولاً من رسل السلام والرحمة والنجاة! أجل. ويريد الإسلام أن يكون أهل العلم من

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

أتباعه أصحاب هممٍ علية، ونفوسٍ أبية، لا يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً، ولا يريدون بعلمهم عرض هذا الأدنى. إنما همهم وراثة الأنبياء في إصلاح العالم؛ وتبليغ دعوة الإسلام على وجهها لطبقات الخلق، وتنفيذ أحكام الله في الأقضية وسائر شؤون الحكم. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[١].

وهنا في هذه الآية الحكيمة تتجلى رسالة العالم والطالب. ويا لها رسالة! ثم يا لها أمانة! نسأل الله السلامة والإعانة.

رجائي

تلك محاولاتي وأهدافي، فإذا كنت قد أصبتها فذلك الفضل من الله، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٢]. وإن كانت الثانية فإنما هي نفسي، وأستغفر الله.

ورجائي من كل ناظر يطّلع على عيبٍ أن يدلّني عليه، ويرشدني إليه. فالدين النصيحة، والمسلمون بخيرٍ ما تعاونوا. وما نجح سلفنا الصالح وكانوا خير أُمة أُخرجت للناس إلا بهذه الفضيلة. وإنه ليحلو لي أن أقول هنا ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رحمَ الله رجلاً أهدَى إليَّ عيوبَ نفسي».

شكري

وإني لمدينٌ ببالغ الشكر، وسابغ الحمد، لأولئك السادة الأماجد الذي طوّقوا عنقي بجليل معاونتهم وتشجيعهم، وجميل تقريظهم وتقديرهم.

ولا أزال أحفظ بالإجلال والإكبار، ما لقيته في هذه المناسبة السعيدة من بعض رجالات الدولة، وكبار العلماء، ورؤساء الجماعات الإسلامية، وأصحاب المجلات والصحف اليومية، وإخواني أبناء الأقطار الشقيقة، خصوصاً الذين عملوا منهم على ترجمة هذا الكتاب ونقله في دقّة وأمانة إلى بعض اللغات الشرقية.

وأعتذر عن عدم نشر تقاريظهم والتنويه بفضلهم في هذه المرة، لخجل في طبعي، وضيقٍ في طبع الكتاب.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

عجل الله الفرجَ للأنام، وأعاد عهد الرخاء واليسر والسلام، وجعل العاقبة للإسلام وبلاد الإسلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[١].

المؤلف

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

مقدمة

في القرآن وعلومه ومنهجي في التاليف

القرآن الكريم: كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام خالد ختم به الأديان.

فهو دستورُ الخالق لإصلاح الخلق، وقانونُ السماء لهداية الأرض، أنهى إليه مُنزِلُه كلَّ تشريع، وأودعه كلَّ نهضة، وناط به كلَّ سعادة.

وهو حجة الرسول وآيته الكبرى: يقوم في فم الدنيا شاهداً برسالته، ناطقاً بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته.

وهو ملاذُ الدين الأعلى: يستند الإسلامُ إليه في عقائده وعباداته، وحِكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه!

وهو عماد لغة العرب الأسمى: تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمدُّ علومَها منه على تنوعها وكثرتها، وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادّتها.

وهو ـ أولاً وآخراً ـ القوّة المحوِّلة التي غيَّرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحوَّلت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خلقت الوجود خلقاً جديداً!.

لذلك كله، كان القرآنُ الكريم موضعَ العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعاً إلى يوم الناس هذا.

وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك.

ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم ودوّنوا الكتب، وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطاً بعيدة، حتى

زَخَرت المكتبةُ الإسلامية بتُراث مجيد من آثار سلفنا الصالح، وعلمائنا الأعلام. وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدّى بها أمم الأرض، ونُفحم بها أهل الملل والنِّحَل في كل عصر ومصر!

وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة، ومَوْسوعات قيِّمة، فيما نسميه علم القراءات، وعلم التجويد، وعلم النسخ العثماني، وعلم التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية، مما يعتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب، وبات هذا المظهر معجزة جديدة مصدِّقة لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[١].

ولقد أنجبت تلك العلومُ الآنفة وليداً جديداً، هو مزيج منها جميعاً، وسليل لها جميعاً، فيه مقاصدها وأغراضها، وخصائصها وأسرارها، «والولد سرُّ أبيه».

وقد أسموْه (علوم القرآن) وهو موضوع دراستنا في هذا الكتاب إن شاء الله.

وسأحاول فيما أكتبه أن أمزُج بين حاجة الأزهريين إلى البحث والتحليل، وبين رغبات جماهير القراء المعاصرين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل، ما وسعني الإمكان. وسأضطر بسبب ذلك إلى شيء من الإسهاب والتطويل، ولكنها تضحية ضئيلة بجانب تأدية رسالتنا في وجوب الاتصال الديني بالجماهير.

وسأعرِض ـ بعون الله وتأييده ـ لعلاج الشبهات التي أطلق بخورَها أعداءُ الإسلام، وسددوا سهامها الطائشة إلى القرآن، ولكن عند المناسبة وسنوح الفرصة.

وسأجتزىء في كل مبحث ببعض أمثلة من القرآن الكريم، دون أن أحاول ما حاوله سلف الكاتبين من استيعاب كل فرد لكل نوع؛ فإن حبل ذلك طويل وثقيل، على حين أن الناظر يكفيه الإيضاح بقليل من التمثيل.

وسأجعل نقاط المنهج المقرر عناوين بارزة بين المباحث التي يقوم عليها هذا الكتاب مقتفياً في الغالب أثر تلك النقط في التسمية وفي الترتيب. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾[٢].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.